### «شفيق يا راجل» الجملة الشهيرة التي كللت نجوميته

# محمد نجم.. التقى الشيخ الشعراوي فغيّر في أفكاره وقناعاته وامتنع عن العمل في السينما

| وائل العدس

خلال أيام عيد الفطر، توفي الفنان المصري محمد نجم الملقب بـ«ملك الكوميديا» عن عمر ناهز ٧٥ عاماً بعد إصابته بجلطة دماغية استدعت نقله للمستشفى الشهر الماضي دخل إثرها في غيبوبة قبل أن يفارق الحياة.

ويعد الراحل صاحب الجملة الشهيرة في تاريخ المسرح الكوميدي «شفيق يا راجل» في مسرحية «عش المجانين»، بصوته الأجش، وحركاته البهلوانية، وردود فعله السريعة والمرتجلة التي تفجر الضحكات على خشبة المسرح.

كما يعتبر آخر عنقود عظماء المسرح، إذ أسس مسرحه الخاص على غرار مسرح الريحاني وفؤاد المهندس وعبد المنعم مدبولي الذي دائماً ما يصفه بالأستاذ الذي خرج من عباءته المسرحية.

ويظل واحداً من فناني الكوميديا القلائل الذين رسموا لأنفسهم، مساراً مختلفاً عن أجيال الكوميديا التي سبقتهم أو التي جاءت من بعدهم، فنجح في خلق مدرسة أداء خاصة به جعلته صاحب بصمة خاصة في مجال المسرح الذي فضل العمل به حتى يصبح حُراً طليقاً يستطيع الارتجال والتحرك دون أن تستوقفه تعليمات المخرج سواء في السينما أو التلفزيون وهو الأمر الذي جعله يزهد في العمل فيهما بعد أن قدم عدداً من الأدوار القليلة بهما أبرزها الذي لا يزال في ذاكرة المشاهد «مولد يادنيا» وأيضاً «حكايتي مع الزمان» للفنانة وردة الجزائرية.

> مدرسة خاصة في التمثيل تعتمد على حركات تلقائية مع موهبة نادرة خلقت له نجوميته المسرحية

### رحلة الاحتراف

بدأ نجم رحلته من عالم الاحتراف الجامعي حيث عشق المسرح من خلالها ثم ذهب إلى الكوميديان الراحل عبد المنعم مدبولي الذي تعلم منه خبرته المسرحية فهو من قام بإعطائه الحركات التلقائية التي كان يؤديها بجسده، ما خلق لدى نجم مدرسة خاصة في الأداء حتى إن الراحل كان يحدثه بأن موهبته تتشابه معه وأنه يذكره بشبابه.

توالت أعمال نجم المسرحية وهو الأمر الذي جعله يؤسس مسرحاً خاصاً به ظل به يتصدر الساحة المسرحية لسنوات طويلة، ولعل ما ساهم في نجاحه ونجوميته الأسلوب الخاص الذي ابتكره في أدائه للأعمال المسرحية، منها النظرة التي كان يلقيها بجانب حدقة عينيه بطريقة ساخرة أو طريقته في نظرته التي كان يشمئز بها من شخص أمامه مدمجاً معها بعض التعبيرات الجسدية والإيماءات.

### شفيق يا راجل!

«شفيق يا راجل» الجملة الشهيرة التي كللت نجومية «نجم المسرح» لم تكن مكتوبة بنص «عش المجانين» حيث كان من المفترض أن تكون العبارة التي يقولها هي: «أنا عبد ربه شفيق عبد ربه» لكنه حولها إلى «شفيق يا راجل» من خلال اندماجه أمام الراحل حسن عابدين ومع الشخصية التي كان يؤديها.

قدم نجم للمسرح العديد من الأعمال المسرحية بدأها عام ١٩٧٠ مع الفنانة نجوى سالم ومسرحية «حاجة تلخبط» تلتها مسرحيات «مولود في الوقت الضائع» ١٩٧٤ مع عبد المنعم مدبولي وعقيلة راتب، و«زوجة واحدة تكفي» مع صلاح ذو الفقار وسعيد عبد الغني تأليف أحمد الإبياري، «عش المجانين» ١٩٧٩ والتي عرضت في كثير من الدول العَربية.

وتجاوزت أعمال نجم المسرحية الخمسين عملا أبرزها «المداين قوي، واحد ليمون والتاني مجنون، عبده يتحدى رامبو، واد عفريت».

### تلميذ المدبولي

كان الراحل يقدم نفسه كتلميذ عبد المنعم مدبولي، عرفاناً له بالفضل في نشأته المسرحية، إذ التحق بفرقته ليقدم معه أول أدواره المسرحية في مسرحية «مولود في الوقت الضائع»، فيقول: «تعلمت منه قيمة المسرح واحترام الجمهور، وكيف أصنع (لازمة) تعلق في أذهان الناس»، لكنه كان حريصاً أن يصنع شخصيته المستقلة من دون تقليد.

### عشقه الأول

لم يقارن نفسه بفناني جيله، خاض بعض التجارب السينمائية والتلفزيونية، لكنه لم يجد ضالته في السينما أو الدراما، ففي حوار تلفزيوني له عندما سئل: «ما المسلسل الأفضل في مشوارك الفني «خرج ولم يعد» أم «غاب مع الإسمنت»؟ قال: إن كليهما يجب ألا يذكرهما فلم يكن لديه وعي كاف ولم يقتنع بهما، فسرعان ما عاد إلى عشقه الأول المسرح ليركض خلف حلم البطولة المسرحية التي حافظ عليها على مدار ٣٠ عاماً، فأسس مسرحه الخاص ليقدم عشرات المسرحيات الكوميدية التي خلدت اسمه في ذاكرة المسرح العربي.

### لقاء مع الشعراوي

كان لقاؤه مع الشيخ محمد متولي الشعراوي نقطة تحول في حياته، غير في أفكاره وقناعاته، حيث ذهب هو وهناء ثروت إليه فنصحهما بالتوقف عن إثارة الغرائز وتقديم ما يخالف الضوابط الشرعية للناس، فاعتزلت الأولى وقرر نجم أن يمتنع عن العمل في السينما بسبب التنازلات الأخلاقية التي يفرضها المنتجون، واتجه إلى تأسيس مسرحه الخاص ليتمكن من الالتزام بالمعايير الأخلاقية التي تتفق مع قيمه ومبادئه، مهاجماً العري والإثارة التي يقدمها صناع السينما الآن.

### أحمد آدم

قال الفنان الشاب شريف نجم، نجل الفنان الراحل إن والده كان سبباً في اكتشاف مواهب فنية كثيرة، من ضمنهم أحمد آدم، الذي تجاوز في حق والده ووصفه بالفاشل.

وأضاف: «لما والدي سمع تجاوز أحمد آدم في حقه، أثناء استضافته في برنامج (شيخ الحارة) في ثاني أيام رمضان، أصيب بجلطة بالقلب، دخل على إثرها العناية المركزة، وظل مريضاً حتى وافته المنية».

وأضاف إن تجاوز أحمد آدم ضد والدي كان أحد الأسباب التي تسببت بمرضه، وأثرت في صحته بشكل كبير».

بدورها وجهت أرملة الراحل اتهاماً للبرنامج نفسه بالتسبب بمرض زوجها ووفاته.

وتعهدت بأنها ستأخذ حقه من البرنامج الذي تسبب في مرضه وموته، حسب قولها.

وتم تداول فيديو لأرملة محمد نجم في عزاء زوجها وهي تقول لأحد الإعلاميين: «أنا مش هسيب حقه، والله العظيم ما هسيب حقه، أنت أخبرت ابنه شريف أنه عندما سيقوم بابا سيرد لكن بابا لم يقم ومات» وتابعت: «بسبب ما حدث لن أترك حقه يضيع.. حق محمد نجم لن أتركه».

أما محمد الشواف رئيس تحرير برنامج «شيخ الحارة» فقال إن الاتهامات التي وُجهت للبرنامج، أنه تسبب في وفاة الفنان محمد نجم، بعدما ربط بعض رواد مواقع التواصل الاجتماعي بين تصريحات أرملة الفنان الراحل وبين حلقة الفنان أحمد آدم في البرنامج.

وكتب«: «بعد حلقة الأستاذ أحمد آدم اللي رد فيها على تصريح للأستاذ نجم من دون تجريح محدش طلب من أسرة الفنان يرد معانا على كلام أحمد آدم ولا شريف أو بنت الأستاذ طلبت ترد ولا الأستاذ نجم جاء للبرنامج وسجل حلقة ولا شفناه ولا يعرفوا مكان الأستديو.. ولو كانوا طلبوا الرد في البرنامج كان هيتعمله حلقة زي حلقة الأستاذ أحمد آدم اللي بالمناسبة يسأل هو عن تصريحاته مش احنا».

وتابع: «كانت فين أسرة الفنان من يوم ٢ رمضان لحد النهارده وصبروا علينا ليه واحنا مذعناش الحلقة».

وأضاف: «توضيح صغير برضه لأننا مش طرف حقيقي في أي هري منتظر.. حلقة الأستاذ أحمد آدم كانت يوم ٧ أيار.. والأستاذ نجم دخل المستشفى ٢٠ أيار.. هل يعقل أنه فضل تعبان من يوم الحلقة لحد يوم ٢٠ أيار»؟

ويشار إلى أنه في ثاني أيام شهر رمضان، استضافت الإعلامية بسمة وهبة عبر برنامجها «شيخ الحارة»، الفنان أحمد آدم وسألته عن نجم، فرد: «أقسم بالله أنني أستطيع أن أكره فيه الناس بمواقف أقسم بالمصحف أنني شاهدتها أمامي، لكني أكبر من هذا ولا أستطيع أن أفعل هذا، لو تحدثت عن السبب سيكون هناك إهانة له، وباختصار لم يعجبني شكل المسرح وكل ما يفعله».

---

### من شواهد الحضارة العربية الإسلامية

# المدرسة المستنصرية.. التاريخ يقيم في أروقتها!

| د. رحيم هادي الشمخي

بين نهر دجلة والمدرسة المستنصرية علاقة إرواء عمرها مئات السنين، فعلى ضفة دجلة وسط بغداد أنشئت أول مدرسة بإطار أكاديمي في السنة الهجرية (٦٣١) العام ١٢٣٣ ميلادية، أي قبل ٧٦٧ عاماً. كان نهر دجلة يروي الحقول والبساتين بمائه العذب، فيطلع الزرع والثمر والنخل المشوق القوام خيراً عميماً يلقي بظلاله على أرض السواد، أما المستنصرية وغيرها من ينابيع الفكر والثقافة والدين، فإنها تروي حقول العلم والمعرفة والإيمان فتتناسل أفواج العلماء والفقهاء والأدباء.

المدرسة المستنصرية التي أنشئت في بغداد كانت إحدى المدارس العراقية وثمرة من عطايا الفكر الإسلامي العظيم الذي أضاء بنوره الدنيا. إن هذا الصرح الشامخ حتى الآن على ضفة نهر دجلة شاهد على حيوية الحضارة الإسلامية. تعالوا معي في جولة مشاهدة واستذكار بأروقة المدرسة المستنصرية لنطالع تاريخها وفنون عمارتها وثقافة الأجداد.

### المستنصرية والمدارس القديمة

مع إشراقات نور العروبة والإسلام والمعرفة التي استحدثها في العراق كانت المساجد والجوامع هي مراكز تعليم القرآن وتدريس السنة النبوية الشريفة وغيرها من المعارف التي تتصل بالفكر العربي الإسلامي، وفي منتصف القرن الخامس الهجري ومع تنامي المنظومة المعرفية للفكر العربي الإسلامي بسبب التطورات الكبيرة التي شهدتها آفاق الحياة الفكرية والفقهية والفلسفية والأدبية واستكمالاً للتطور العام في البنية الثقافية والمعرفية ولأجل إعطائها طابعاً منهجياً ولدت الضرورة لانبثاق مدارس تعتمد المنهج في التدريس، فنشأت في بغداد وبقية مدن العراق العديد من المدارس، ولأهمية المدرسة آنذاك فإنها عادة ما ترتبط بالخليفة الحاكم وتعتبر أحد إنجازاته المهمة، وبين العام الهجري ٤٥٩ والعام ٦٥٣ أنشئت في بغداد وحدها ٣٥ مدرسة منها مدرسة مشهد أبي حنيفة، والمدرسة النظامية، اللتان أنشئتا في العام ٤٥٩ هجرية ومدرسة عبد القادر الجيلي العام ٥١٣ هجرية والمدرسة الموفقية ٥٢٢ هجرية والمدرسة المستنصرية التي نحن الآن في ضيافتها حيث يغمرنا عبق الماضي ودهشة الأفكار.

### المستنصرية أول نظام للجامعة

المدرسة المستنصرية من الأبنية العباسية المشهورة وسميت بهذا الاسم نسبة إلى مؤسسها الخليفة العباسي المستنصر بالله ولد سنة ٥٨٨ هجرية وبويع للخلافة سنة ٦٢٣ هجرية ودامت خلافته حتى وفاته سنة ٦٤٠ هجرية، وبعد مرحلة إنشاء استغرقت أكثر من خمس سنوات، أنفقت فيها أموال كثيرة، تأسست سنة ٦٣١ هجرية، وخلافاً للمدارس التي سبقتها والتي كانت تختص بتدريس أحد المذاهب الإسلامية فقد كانت المدرسة المستنصرية عبارة عن جامعة عربية إسلامية كبرى تدرس فيها علوم القرآن الكريم والفقه والحديث واللغة العربية والطب والرياضيات، وتعتبر أول مدرسة عرفتها الدولة الإسلامية خصصت لتدريس فقه المذاهب.

وضع الخليفة المستنصر بالله نظاماً دقيقاً لمدرسته، حيث تم تحديد عدد المدرسين والطلاب وقراء القرآن الكريم والحديث النبوي وعين لها ناظراً ومشرفاً وخازناً للكتب ومناولاً وكاتباً إلى جانب بقية العاملين الذين يقومون بالخدمة كما تم تحديد مرتبات ومخصصات هيئة التدريس والطلاب والعاملين فيها وقد أوردت المراجع العربية ذلك بالتفصيل، على أنه يمكن تلخيص ذلك على النحو التالي:

×يكون عدد الفقهاء (طلاب الفقه) ٢٤٨ متفقهاً من كل مذهب ٦٢ فقيهاً لهم المشاهرة- الراتب الشهري والجراية الدائرة واللحم والمطبخ الدائر والحلوى والفواكه والفرش والصابون والمسرحية وإبريق النحاس مع راتب شهري قدره ديناران يضاعف في شهر رمضان.

عين لكل مذهب مدرس وأربعة معيدين ومرتب ينظم أمور الطلاب ويسهر على راحتهم وطعامهم.

يكون في دار القرآن ثلاثون صبياً أيتاماً لكل منهم الخبز والطبيخ مع راتب شهري.

يعين في دار القرآن شيخ مقرئ صالح لتلقين القرآن الكريم، له في كل يوم الخبز والطبيخ مع راتب شهري قدره ثلاثة دنانير.

×يكون في دار الحديث شيخ عالي الإسناد يشتغل بعلم الحديث، له في كل يوم الخبز واللحم مع راتب شهري ويساعده قارئان للحديث مشمولان بذات الرعاية.

يعين في المدرسة طبيب حاذق مسلم له في كل يوم الخبز واللحم مع راتب شهري ويكون مع الطبيب عشرة أشخاص من المسلمين يشتغلون عليه بعلم الطب لهم الجرايات مثل طلاب الحديث.

اشترط الخليفة أن يكون في هذه المدرسة من يشتغل بعلم الفرائض والحساب، وقد جعل الخليفة للمدرسة أوقافاً كثيرة وقيل عن تلك الأوقاف إنها بلغت ما قيمته ألف ألف دينار، وإن وارداتها في العام ما يزيد على سبعين ألف مثقال ذهب.

### المدرسة.. فنون البناء الإسلامي

أراد الخليفة المستنصر بالله كما يظهر من تصميم المدرسة أن تكون متميزة عن بقية المدارس التي أنشئت قبلها ليس فقط في شروطها ودراستها وإنما في بنائها واتساعها وشكلها ومظهرها أيضاً وهذا ما جعل كثيراً من المؤرخين لا يخفون إعجابهم ببنائها.

وفي نظرة متأملة على تخطيط المدرسة المستنصرية تجد أن البناية الحالية تحتل مساحة من الأرض مستطيلة الشكل طولها من الخارج ١٠٥ أمتار وعرضها من الجهة الشمالية الغربية يبلغ ٤٤,٢٠ م وتتسع في الجهة الجنوبية الشرقية فيصبح عرضها ٤٩ متراً وتكون مساحتها الكلية زهاء ٤٨٣٦ متراً مربعاً.

يتوسط البناية ساحة مكشوفة (الصحن) وهي ذات شكل مستطيل بطول ٦٢,٤٠ متراً وعرض ٢٧,٤٠ متراً فتكون مساحتها الكلية ١٧١٠ أمتار، يلي الصحن من حيث الاتساع بيت الصلاة (مسجد المدرسة) ويجلب نظرك بعد ذلك القاعات الكبيرة وعددها سبع قاعات معظمها ذات شكل مستطيل ويتقدمها رواق شاهق الارتفاع، وتقابل هذه القاعات قاعتان أصغر منهما في الحجم إضافة إلى أربع حجرات كبيرة وهذه القاعات والحجرات ترتبط بممرات تؤدي إلى الصحن الكبير.

أما الأواوين الموجودة في هذه المدرسة فهي ثلاثة، يقع اثنان منها في داخل البناية ويطلان على الصحن وهما متشابهان ومتساويان في المساحة وارتفاعهما يبلغ نحو تسعة أمتار والإيوان الثالث يقع خارج البناية.

وتحتوي المدرسة على حجرات وغرف صغيرة كثيرة، أبوابها مطلة على الساحة الوسطية (الصحن) وهي موزعة على أربع مجموعات كل مجموعة في ركن من أركان المدرسة، وهذه الحجرات والغرف تتوزع في طابقين ويتم الصعود إليها عن طريق الأدراج النافذة من الصحن ويبلغ عدد حجرات الطابق ٤٠ حجرة وفي الطابق الثاني ٣٦ غرفة.

بنيت المستنصرية بآجر أصفر اللون جيد الصناعة متنوع الأشكال والأحجام، ومما تميزت به هذه البناية هو عدم تغطية سطوح الجدران بطبقة من الجص أو أي طلاء آخر، إذ جرى تزيينها بزخارف آجرية تعتبر من المظاهر الفنية لذلك العصر، والملاحظ أن الجدران الخارجية ضخمة ومرتفعة ومزينة بالزخارف في بعض أجزائها وخاصة القسم العلوي منها الذي يمتد عليه شريط الكتابات التذكارية، ويمكن القول إن ضخامة الجدران وعدم فتح نوافذ فيها ما عدا الجدار المطل على نهر دجلة إنما قصد به منع وصول الضوضاء الخارجية إلى داخل المدرسة لضمان أكبر قسط من الراحة والسكون والهدوء للمقيمين فيها.

### الزخارف وفن الكتابة

تزخر بناية المدرسة المستنصرية بزخارف متنوعة تبعث على الإعجاب وتدل على ذوق فني رفيع كما تشير إلى مدى التقدم والتطور الذي حدث على الزخارف في تلك الفترة التاريخية سواء كانت في صناعتها أو في الأشكال الزخرفية نفسها.

إن هذه الزخارف جميعها مصنوعة من قطع الآجر (الطابوق) وهي المادة المستعملة في البناء، وقد أدرك المعمار والفنان البغدادي خصائص هذه المادة فاستطاع الاستفادة من ذلك وتمكن من عمل أشكال متنوعة سواء من اختلاف أوضاع قطع الآجر نفسها، أو نحتها وتقطيعها إلى أشكال متنوعة وبأحجام متباينة وفق خطة هندسية محكمة الصناعة تؤلف في مجموعها الشكل الزخرفي المطلوب، إضافة إلى حفر الزخارف على الآجر فيؤلف الاختلاف بين مستوياتها تبايناً بين الضوء والظل يحقق وضوحاً وتجسيماً للعناصر الزخرفية المزينة بالأشكال النباتية التي ملئت بها بواطن النجوم والمضلعات الهندسية، كما تزدان بناية المدرسة بكتابات على شكل أشرطة تزين واجهة مدخلها وأعلى الجدران الخارجية، وهي إضافة إلى كونها وسيلة إعلامية للتعريف بالبناية ومؤسسها وتاريخها، فإنها أيضاً تشترك مع العناصر الزخرفية في تزيين الجدران، ونوع الخط المستعمل في تلك الكتابات هو خط (الثلث) وهو من أنواع الخط العربي وقد رسمت الكتابة على الآجر وحفرت الحروف بحيث تكون بارزة على سطح القطع الآجرية ثم زخرفت الفراغات بعناصر نباتية تم حفرها حفراً عميقاً بحيث تبدو هي الأخرى بارزة أيضاً، والأسلوب الثاني الذي تم فيه عمل الكتابات يعتمد على تقطيع الآجر ونحته ليتخذ شكل الحرف المطلوب، والأسلوب الأول نجده في كتابات واجهة المدخل، أما الأمثلة للأسلوب الثاني فنلاحظها في الكتابات الأخرى الموجودة على جدران هذه البناية.

### الأهمية الفكرية للمدرسة المستنصرية

يذكر صاحب الكتاب المسمى بالحوادث الجامعة أنه نقل إلى المدرسة المستنصرية في يوم افتتاحها «من الربعات الشريفة والكتب النفيسة المحتوية علي العلوم الدينية والأدبية ما حمله مئة وستون حمالاً وجعلت في خزانة الكتب سوى ما نقل إليها فيما بعد».

وتبرز الأهمية الفكرية للمدرسة المستنصرية في كونها أول مدرسة مخصصة للمذاهب حيث كانت المدارس السابقة لها يختص كل منها بمذهب واحد أو مذهبين اثنين أو ثلاثة مذاهب، وهي بذلك تهدف إلى جمع الأمة وتوحيدها للوقوف أمام التيارات الفكرية المعادية، لقد كانت هذه المدرسة موئلاً للعلماء والأدباء فقصدها الطلاب من جميع أنحاء العالم آنذاك، فكان لها أثر في الثقافة الإسلامية ذلك لأنها كانت مجمع سائر الدين ومذاهب المسلمين.